الإنسان في قلب الإصلاح الإسلامي

تابعتُ مجلة حراء منذ صدورها، تابعتُها شكلاً ومضمونًا، قريبًا أو بعيدًا عمّن كانوا وراء ميلادها ونموها. انجذبت إلى روحانية ووجدانية معانيها والمجدولة بعقلانية ورشادة إسلامية؛ مما جعل منها، في نظري، معينًا إيمانيًّا وروحانيًّا لكل عازم على المشاركة في إصلاح أمتنا.

تمنيت أن أتمكن من المشاركة على صفحاتها... ولكن كيف وأنا أستاذة علوم سياسية وموضوعات حراء تبدو أنها بعيدة عن السياسة؟

ولكن كنت أعرف أنني يجب أن أشارك في هذه الصفحات؛ لأن الروحانية والوجدانية هي أساس تربوي يلزم كل عمل عام لصالح الجماعة والأمة والإنسانية. وهكذا يجب أن نفهم **"السياسة"**. ومن ثم فالسياسة حاضرة هنا ولكن ليس بالمفهوم الحداثي الوضعي الواقعي، الذي يعكس كل أنماط الصراعات المادية منقطعةً الصلة عن الله وعن الإنسان ومجتمعه؛ لذا فإن السياسة المقصودة هنا إنما هي السياسة بالمفهوم الإسلامي الحضاري، الساعية للعمران من خلال الرعاية، فهي منتج لمنهج تربوي شامل، يبدأ بالإنسان ويصبّ في عافية الأمة كلها، وتشارك فيها الأمةُ كلٌّ بما يُسِّر له. إذن السياسة ليست الحكم والسلطة من أعلى فقط، كما دَرَجَ الناس على فهم السياسة باعتبارها فقط سلطة إدارة الحكم من أعلى.

وجاءتني الفرصة مع هذه الصفحات التي أقدم من خلالها خبرتي مع المؤتمر الدولي **"الإصلاح في العالم الإسلامي رؤى وخبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"**؛ وهو المؤتمر الذي عُقِد في القاهرة في مقر جامعة الدول العربية بالتعاون بين مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة، وبين وقف أكاديمية البحوث والانترنت، ومجلة حراء بإسطنبول(*).

وهو المؤتمر الذي شارك في جلساته عبر ثلاثة أيام ما يزيد عن ألفي مشارك من الشباب والإعلاميين وأساتذة الجامعات والناشطين المدنيين والسياسيين.

وعلى هذا النحو، من حيث نمط المشاركين ومكان الانعقاد ونطاق الحضور، فإن المؤتمر كان الأول من نوعه لتقديم هذه الخبرة الفكرية والحركية من الدائرة التركية في الحضارة الإسلامية إلى الدائرة العربية منها. ولقد بذل أ.د.إبراهيم البيومي وأ.د.باكينام الشرقاوي المنسقان العلميان كافة جهدهما لتحويل فكرة المؤتمر إلى واقع ملموس.

فإذا كانت حِراء تقدم طاقات الإيمان والوجدان والروح اللازمة لتحريك وتفعيل العمل والحركة، فهي تعد منبرًا يجسد ويعكس أهداف حركة فتح الله كولن وفي قلبها فكر هذا المفكر المصلح المعاصر الذي خرج وحركته من قلب تركيا الحديثة، مولِّدًا آثارًا مهمة ليس على صعيد تركيا فقط ولكن على صعيد الأمة الإسلامية والعالم. وعلى نحو فجَّر الاهتمام بالتعرف على هذا الفكر وهذه الحركة.

ولقد كانت خبرة مركز الدراسات الحضارية مع حراء، من خلال لقاءات متبادلة في القاهرة واسطنبول (2005-2009) بمثابة التمهيد للطريق الذي قادنا إلى المؤتمر، وهو الطريق الذي انجدلت عبره أواصر التعارف الجميل بنماذج أعضاء الحركة وإسهاماتها، واكتشفنا خلالها موضع **"الإنسان"** وطبيعته في فكر كولن وحركته.

الإنسان والإنسانية ومذهب الإنسانية كلمات تتردد على ألسنة كثيرة، وتحمل معانيَ عدة: الإنسان الذي تماهى مع الطبيعة أو المادة، الإنسان الذي تلاشى في العدمية والوجودية، الإنسان العقلاني الرشيد، الإنسان الرومانسي الحالم .. وهكذا. ولكن الإنسان الذي نصبو إلى إصلاحه - باعتباره حجر الزاوية في عملية "إصلاح إسلامي" وفق مرجعية إسلامية وسطية تعارفية حضارية- هو الإنسان الذي يملأ فكر فتح الله كولن، وتجسده نماذج حركة فتح الله كولن والتي

(*) انظر موقع الحوار العربي-التركي: www.arabturkdialog.com

هي "نماذج من ذاتها". إنه الإنسان الجديد الذى وصفه كولن بأنه من "الجيل الذهبي" الذي يتربى بهويته الذاتية ويتزين بمقوماته التاريخية، إنه من أطباء الروح والمعنى، إنه المخ المدبّر يصل إلى جميع وحدات المجتمع ويمتد تأثيره إلى جميع خلايا جسم الأمة. إنه يمس شيئًا من الروح ومن المعنى، إنه من قادة أركان الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، إنه من أبطال يصونون مصير الوطن ويحمون تاريخ إنساننا ودينه وأعرافه وتقاليده ومقدساته كلها، إنه واحد من "حفنة المجانين" الذين يمكنهم إعادة تجديد الأمة...

هكذا تحدث الشيخ فتح الله كولن عن الإنسان؛ سواء على مستوى القيادة المطلوبة لإحداث الإصلاح، أو على مستوى الشجرة وثمارها، هذا الإنسان هو الغاية والهدف، هو المنطلق والمبتدأ، وهو المآل والنتيجة. وما عدا ذلك هي وسائل آليات، سبل سعي وراء هذا الإنسان، ومن منظومة إيمانية إسلامية تجد جذورها ومصادرها في الإسلام، كما عاشه واحتواه فتح الله كولن عبر مسار حياته الممتدة.

وهذه المنظومة وهذه الجذور وهذه المصادر يتشارك فتح الله كولن وحركته قسمات منها مع أفكار وحركات إصلاحية إسلامية عبر أرجاء العالم الإسلامي وعبر مراحل تاريخه. فلم تغفل هذه الأفكار وهذه الحركات، على تنوعها وتعددها، أن الإنسان -في الرؤية الإسلامية- هو مكمن الصلاح أو مناط الفشل في هذه الأمة، مستدعيًا بعد ذلك بقية العوامل والمصادر الأخرى -أي المادية منها. ولكن **ماذا عن جوانب التميِّز في فكر وحركة الشيخ فتح الله كولن وماذا عن التمايز بينها وبين غيرها من الأفكار والحركات الإصلاحية الإسلامية المعاصرة والسابقة؟**

سؤالان كان لابد من طرحهما في دائرة الفكر والحركة الإصلاحية الإسلامية في العالم العربي وهي تتفاعل وتتعارف مع فكر وحركة فتح الله كولن. ولكن بعد أن توطد تعارف الغرب وأرجاء أخرى من العالم مع الحركة وقائدها.

فلقد حظت الحركة وفكرها اهتمام دوائر فكرية وأكاديمية وسياسية غربية، وانعقدت لها المؤتمرات وصدرت عنها الكتب والمقالات في الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا. ولقد اعتبرت هذه اللقاءات في مجملها أن حركة فتح الله كولن من أهم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي خلال نصف الثانى من القرن العشرين؛ ومن ثم اعتبارها من أكثر الحركات الاجتماعية والمدنية تأثيرًا على العالم في القرن الواحد والعشرين، ولقد قدمت هذه الأعمال الحركة من منظور اهتمامات الغرب بوضع العالم الإسلامي في العالم وبالتأثيرات الخارجية والعالمية لحركة فتح الله كولن؛ انطلاقًا بالطبع من طبيعة الإطار الوطني التركي.

وفي المقابل كان لابد أن يكون لاقترابنا من حركة فتح الله كولن وفكره خصوصية، مقارنة باقتراب المؤتمرات العالمية الأخرى التي عقدها الغرب.

ولذا فإن مؤتمر القاهرة، وسعيًا أيضًا للإجابة على السؤالين السابق طرحهما عاليًا عن أوجه تميز الحركة في مجال الإصلاح الإسلامي، قد حدد اقترابًا وهدفًا ورسم معمارًا لموضوعه وانعقد في سياق متميز وتوصل إلى نتائج ذات دلالة.

أولاً- هدف المؤتمر وفكرته ومنطلقاته:

إن هدف المؤتمر يترجم خصوصية اقترابنا نحن في الدائرة العربية من خبرة تركية مثل التي نحن بصددها. فلقد كان اقتراب الإصلاح والتجديد فى المجال الحضاري العربي والإسلامي فى النصف الثاني من القرن العشرين هو المنطلق الذى تمت الموافقة عليه لعرض وتحليل فكر فتح الله كولن وخبرة حركته –داخليًّا وخارجيًّا- مقارنة بخبرات ورؤى إصلاحية أخرى فى العالميْن العربي والإسلامي، خلال نفس الفترة الزمنية، وهذا الاقتراب يعكس فكرة أساسية ينطلق منها المؤتمر كما ينبثق عن أهداف عدة ترتبط بدراسة الإشكاليات التى تثور أمام المهتمين بفكر وحركة رواد الإصلاح والتجديد الإسلامي بصفة عامة وفكر وحركة فتح الله كولن بصفة خاصة، سواء فى إطارها التركي أو الإسلامي أو العالمي.

والأطروحة الفكرية الرئيسة التي ينطلق منها هذا المؤتمر هي: أن التنوع في نماذج الإصلاح يعتبر من أبجديات "المرجعية الإسلامية" التي يؤمن بها رواد الإصلاح والتجديد، ويسترشدون بمبادئها في اجتهاداتهم، ويسعون للتجديد والنهوض بمجتمعاتهم في ضوئها. بهذا المعنى يمكن القول إن التعدد في إطار وحدة المرجعية ليس فقط مقبولاً؛ بل هو ضروري ولازم، وهو من مظاهر التعبير عن فهم الإسلام بوصفه نظامًا شاملاً. المنطلقات واحدة إلا أن تعدد جوانب الحياة والتنوع في المشكلات والقضايا وتغيرها من فترة لأخرى، ومن مكان إلى آخر؛ كل ذلك يقود إلى اختلاف الرؤى وتعدد برامج الإصلاح. هذا التنوع في الرؤى والبرامج الإصلاحية على أساس المرجعية الإسلامية؛ إنما يعبر عن أصل الأشياء، وينسجم مع حقائق الوقائع الاجتماعية والسياسية، ويعكس جوهر الفطرة الإنسانية التي تتأبى على التنميط والقولبة وتنزع دومًا للتنوع وتتآلف مع حقائق التعدد في الكون وفي معطيات الحياة الاجتماعية. المرجعية الإسلامية ذاتها هي التي تفتح الأبواب المغلقة، وترحب بجميع الاجتهادات التي تشتبك مع الواقع وتهدف لإصلاحه وتطويره.

إن الوضع المثالي هو التعدد على أرضية واحدة وليس التقيد بخبرة واحدة بذاتها دون غيرها. ويرتبط ذلك بخصوصية الرؤية الإسلامية النابعة من شموليتها، حيث لا يمكن الفصل بين الديني وغير الديني، **فالديني يغطي بطرق متفاوتة أبعاد الحياة الإنسانية على كثرتها، ومن بينها السياسي؛** خاصة إذا ما تم تبني تعريف شامل وواسع لماهية السياسي. وعندما تبدأ مراجعة حقيقية وجادة لأهمية الوصل وليس الفصل بين الديني وغير الديني -حيث لا توجد في الأصول المرجعية ما يدعم فكرة الفصل- ستكون خطوة مهمة قد أنجزت فى سبيل رفع مستوى فعالية وإنجاز أي عملية إصلاحية في العالم الإسلامي.

وانطلاقًا من تنوع وتعدد نماذج الإصلاح المستندة للرؤية الإسلامية، يبرز سؤال المؤتمر الرئيسي: ما هي مداخل التغيير المتنافسة في سبيل الإصلاح والنهضة في مجتمعات العالم الإسلامي المعاصر؟ وأين موضع حركة فتح الله كولن منها؟

تشير تجارب الإصلاح والتجديد على امتداد العالم الإسلامي المعاصر إلى وجود عدد من الرؤى الاجتهادية، كما تشير إلى أن كلاً منها له زاوية اهتمام رئيسية تختلف عن زاوية اهتمام الرؤى الأخرى، وله مزاياه وإنجازاته، كما أن له نواقصه وإخفاقاته. من هذه الرؤى ما يركز على أن الإصلاح يبدأ من أعلى، وأن إصلاح السلطة السياسية مقدّم على الإصلاح الاجتماعي والتربوي، في مقابل رؤية أخرى تؤكد على أن البداية الصحيحة يجب أن تكون من القاعدة الاجتماعية، ويجب أن ترتكز على التربية والتنشئة والتنمية الروحية والأخلاقية. وهناك رؤية يعتقد أصحابُها أن الإصلاح رهنُ استخدام القوة الخشِنة في مواجهة عوامل التأخر، وأسباب التدهور سواء كانت داخلية أم خارجية؛ أي إنه يجب أطّر الناس على الإصلاح أطرًا، في مقابل رؤية أخرى يعتقد أصحابها أن الإصلاح لا يؤتي ثماره إلا بالوسائل السلمية التدريجية طويلة النفس. هناك من يركز على إصلاح ما فسد من عقائد الناس، وهناك من يرى أن التركيز يجب أن يتجه إلى العلاقات والمعاملات والمؤسسات، وأن إصلاحها سيلقي بثماره على الجميع وإن بنسب متفاوتة. هناك أيضًا من يصبّ جل اجتهاداته في مقاومة ضغوط الخارج التي تعوق النهضة والإصلاح، وهناك من يقول له: لا... الأهم هو قهر عوامل التأخر الداخلي أولاً ... وهكذا. وعلى أساس اختلاف الرؤى والاجتهادات وتباينها، تشكلت حركات وجماعات ومؤسسات، واكتسب كل منها طابعًا يعكس بؤرة اهتمامه، ويوضح نقطة انطلاقه، ويؤشر على منهجيته في الاجتهاد، وجميعهم في إطار ما تتيحه المرجعية الإسلامية الشاملة. أما الحكم على صحة وجدوى هذه الرؤية أو تلك، أو أفضلية هذا الاجتهاد وصحته وصلاحيته على غيره، فهذا متروك للتجريب في الواقع، ولتقدير ما تنتجه هذه الرؤية أو تلك من مصالح، وما تدفعه من مفاسد. والحَكَمُ العدلُ في التقويم العملي هو رأي المواطنين الذين تتشكل منهم الأمة؛ نقصد رأيها العام، ورأيها العام لا يمكن أن يجتمع على إقرار الخطأ وإنكار الصواب، أو قبول الفساد ورفض الإصلاح.

وفي جميع الحالات يظل السؤال الأساسي مطروحًا، وهو: **لماذا يعلو بُعد من أبعاد الإصلاح على غيره لدى بعض الإصلاحيين، ويحتل قمة أولويات تحركه؟** هل هذا اختيار قائم على نمط الاستجابة للتحدي؛ أهي مقتضيات الظرف، أم إنها من منطلق الاختيار الاجتهادي؟ أم نتيجة عوامل متعددة ولِما تفرضه هذه العوامل من أولويات للعمل، ولِما يحف بها من أسباب النجاح والفشل؟

إذا ألقينا نظرة عامة على بعض بلدان العالم الإسلامي المعاصر سنجد أن لكل منطقة، وأحيانًا لكل دولة، سماتٍ خاصة، وظروفًا معينة تجعلها مختلفة عن غيرها. "تركيا الحديثة" -على سبيل المثال- لها أكثر من خصوصية ناجمة عن ظروف انتقالها من دولة كبرى إلى دولة هامشية في النظام الدولي، ومن إرث عثماني/ إسلامي إلى توجه علماني تغريبي طيلة ثمانية عقود، وقد فرضت هذه الخصوصيات تحدياتٍ مختلفةً على حركات الإصلاح الإسلامية التركية ، وقدمت في إطارها بدائل متميزة ومسارات لها خصوصيتها تجعل من التركيز على الحالة التركية -ليس فقط عامل إثراء للأطروحات الإصلاحية في العالم الإسلامي- بل أيضا خبرة كاشفة ومفسرة لمحددات الفعالية وعناصر الديناميكية المفقودة فى كثير من الخبرات المناظرة فى الدائرة الحضارية الإسلامية.

ومن ثم فإن عملية البحث في الخبرة التركية، التي تقدمها حركة الشيخ والمفكر فتح الله كولن داخل تركيا، وبامتداداتها إلى خارجها، لن تحقق أهدافها بدون وضعها في سياق وإطار أوسع يتضمن حالات مقارنة تختلف من حيث سياقها الخارجي ومن حيث سياقها الداخلي، ومن حيث إنجازاتها الداخلية والخارجية مقارنةً بما حققه الصعود التركي خلال العقدين الماضيين، وما حاق بتوجه السياسات الداخلية والخارجية التركية من تطورات. وجميعها دفعت للتساؤل عن طبيعة وماهية رؤية هذا النموذج للإصلاح من منطلقات إسلامية.

وينطلق المؤتمر من **إشكاليتين/ تساؤلين أساسيين**، توخينا أنهما يساعدان على الإجابة عن سؤاليْ تميز الحركة في ذاتها ومقارنةً بغيرها.

1. **التساؤل الأول** عن العلاقة بين الفكر والحركة السياسية. هناك نمط شائع ويحتل الأضواء وهو ذاك الذي يتجه نحو الحركة السياسية المباشرة، وهناك من الفكر ما يقتصر على المجال الحركي الدعوي أو التربوي أو الاجتماعي.

ومن هنا نلحظ ما يذيع من معايير التمييز بين رواد الإصلاح والتجديد، وأيضًا بين الحركات والتيارات الإسلامية على نحو يخلق استقطابًا ثنائيًّا مصطنعًا بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي في حركات وتيارات الإصلاح.

أما كيف تتحول طاقة المشروع الفكري إلى قوة حركة للتغيير الحضاري، وليس السياسي فقط، فهذا هو الحاضر الغائب في كل جهود الإصلاح الإسلامي عبر القرنين الماضيين، أو على الأقل هذا هو الحاضر الغائب في القراءات المقدمة عن هذه الحركات والتيارات وعن مآلها حتى الآن.

ولعلنا نستطيع أن نقول أيضًا إن من أهم ملامح التوافق بين الأدبيات التي قوَّمت جهود الإصلاح والتغيير من أجل النهوض، والتي تعاقبت عبر قرنين، هو عدم تحول المشروع الفكري إلى برامج وخطط حركة بل وإلى مؤسسات تقوم بأدوار متكاملة في مجالات مترابطة تُشكِّل في مجموعها المنظومة الحضارية ابتداءً من منظومة قيم التربية والتعليم والثقافة والاقتصاد والإعلام والسياسة وصولاً إلى الهياكل والمؤسسات التي تهتدي بهذه المنظومات في برامج حركتها.

وإذا كانت الخبرة التركية مع فتح الله كولن تبدو أنها تقدم نموذجًا عن كيفية ملء هذه المنطقة الوسطى غير المملوءة عادة في مشروعات إصلاحية سابقة أو راهنة، ألا وهي المنطقة الوسطى بين الفكر التربوي وبين الحركة الاجتماعية وصولاً إلى الحركة السياسية، بعبارة أخرى، المنطقة الوسطى بين تربية الفرد ومنه إلى المجتمع ومنه إلى السياسة، فكيف تتحقق هذه العملية؟ وما شروطها؟ فبدون ادّعاء، بل مع تأكيد عدم الارتباط بالسياسة، فكيف كان لحركة الإصلاح التربوية الحديثة في تركيا مردودٌ اجتماعي واقتصادي وسياسي؟ ومن ثم فإذا

كان جانبٌ من أعمال المؤتمر يحاول الإجابة عن هذا السؤال إلا أن استدعاء تجارب أخرى للمقارنة حول نفس الإشكالية سيمثل جانبًا آخر من هذه الأعمال.

2. **التساؤل الثاني** عن العلاقة بين عالمية الرسالة الإسلامية وإنسانيتها وبين خصوصيتها: فإلى أي حد اتجهت جهود واجتهادات رواد الإصلاح إلى ما هو أبعد من مجرد الإصلاح الديني أو الفقهي إلى الإصلاح المجتمعي بل وإلى الإصلاح العالمي؛ أي إصلاح حال الإنسانية باعتبار أن المسلمين جزءٌ منها، وإن اختلف بالطبع مفهوم **"الإنسانية"** من فلسفة حضارية إلى أخرى. بعبارة أخرى، ما هي الامتدادات الخارجية لمشروعات الإصلاح الإسلامية، التي تأسست في أطر وطنية وإقليمية محددة؟ وما هي غايات وأهداف وآليات وأدوات هذا الامتداد؟ وهل اقتصرت على المناطق الإسلامية ومشاكلها فقط؟

إذا كانت الأدبيات -التي تزخر بها الساحة الأكاديمية والفكرية عن رواد وتيارات الإصلاح الراهنة والسابقة في العالم الإسلامي- قد اجتهدت لتصنيف هذه الجهود ودراسة محتوى ومضمون أفكار رموزها، فهل تمثل الإشكاليتان السابقتان جديدًا في هذا المجال؟ وخاصةً من حيث تعديلهما الخطوط الفاصلة بين الفكر والمجتمع والسياسة. وهذا ملمح من ملامح الدراسات الحضارية من مدخل العلوم السياسية، فهي ليست بالدراسات السياسية التقليدية أو الاجتماعية التقليدية أو الفلسفية والفكرية التقليدية، ولكن تحاول أعمال المؤتمر من خلال هاتين الإشكاليين أن تقدم جديدًا. وتمثل حركة الخبرة التركية في ظل تأثيرات حركة فتح الله كولن وفكره ساحة أساسية لاختبار هاتين الإشكاليتين مقارنةً بالرؤى والخبرات الإصلاحية الأخرى.

ثانيًا- معمار المؤتمر: المحاور والموضوعات:

وانقسمت محاور المؤتمر إلى ثلاثة، تناولتها أربع عشرة دراسة عبر سبع جلسات ثم جلسة ختامية.

المحور الأول عام وتمهيدي يرسم خرائط حركات الإصلاح في العالم الإسلامي عبر نصف القرن الأخير وامتداداتها التاريخية السابقة، ويتناول منظومة المفاهيم المتصلة: الاجتهاد التجديد، الإصلاح.

ولقد أسهمت المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر التي قدمها د.أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر في هذا الجانب التأسيسي للمؤتمر والذي تبلور في موضوعات دراسات كل من أ.د.أبو يعرب المرزوقي وأ.د.سيف الدين عبد الفتاح، وأ.د.رضوان السيد، وأ.د.محمد سليم العوا، وتعقيبات أ.د.محمد عمارة وأ.د.محمد كمال إمام وأ.د.عبد الحميد مدكور عليها.

ومن أهم الإشكاليات التي نوقشت على صعيد جلسات هذا المحور: إشكالية الثابت والمتغير، وإشكالية تصنيف حركات الإصلاح، وإشكالية آفات الإصلاح وشروطه ومقوماته، ونماذج الإصلاح بين الفكر والحركة، ومجالات الإصلاح.

المحور الثاني: قدم تعريفًا بالشيخ "فتح الله كولن". وساهمت دراستيْ أ.د.أرجون جابان وأ.د.إبراهيم البيومي غانم في التعريف بحياة الشيخ وانتماءاته الاجتماعية وبيئته ومصادر تكوينه الفكري وخبراته العملية وطبيعة النموذج الذي يقدمه باعتباره شيخًا ومفكرًا وقائد حركة مدنية ومصلحًا اجتماعيًا ونشط سلام وأديبًا وشاعرًا. وبينت الدراستان ثنائية مصادر تكوين الشيخ: الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي، إلى جانب الاطلاع الواسع على الفلسفات والعلوم المعاصرة ناهيك عن التكامل بين الفكر والحركة. ولقد أبرزت د. أماني صالح في تعقيبها أهمية "القيادة الإصلاحية وأهمية ما يميز الشيخ كولن عن غيره من مصلحي النصف الأخير من القرن العشرين ألا وهو نقل فكره إلى الناس وتحويله إلى حركة دافعه في مجالات الإصلاح مؤكدًا على أهمية البعد الإيماني في الحركة ليس بوصفه مجرد دافع ولكن الغاية والهدف التي تكتمل بالخدمة.

ومن ثم فإن المحور الثاني من المؤتمر ما كان ليكتمل بدون بيان طبيعة نمط حركة فتح الله كولن للتغيير الاجتماعي، وباعتبارها ليست مجرد حركة تركية ولكن حركة عبر قومية وعالمية للتربية ولعبور الجسور بين الأقوام والأديان تحقيقًا لنهوض الأمة الإسلامية وخير الإنسانية

جمعاء. ومن ثم فإن بحوث هذا الجانب من المحور الثاني قدمت تعريفًا ببرنامج الحركة من حيث أهمية التعليم ومقاومة الجهل والفرقه والفقر، ومن حيث آليات ووسائل هذه الحركة ومجالات عملها داخل تركيا وعبر العالم (المدارس، الجامعات، الإعلام، رجال الأعمال، اتحاد الصحفيين والكتاب، مؤسسة أبانت للحوار، وقف البحوث الأكاديمية والانترنت).

ومن ثم أبرزت أيضًا هذه البحوث فلسفة الحركة ومفهوم الخدمة (العزيمة، الإخلاص، الهمة) في المجال العام، وهي الخدمة التي تستند إلى موارد بشرية بالأساس مدعومة بموارد الوقف والإنفاق من جانب "الأصناف".

وحيث لم تكن حركة فتح الله كولن إلا حركة تركية ابتداء، فإن فهم طبيعتها تزداد وضوحًا ببيان وضعها في الإطار السياسي –المجتمعي للإسلام في تركيا الحديثة. ومن ثم كانت دراسة أ. علي بولاج بعنوان "الدين في تركيا والتغيير الاجتماعي وحركة فتح الله كولن"، وكذلك دراسة أ.أنس أركنه "حركة فتح الله كولن بين الحركات التركية للتغيير".

وقدم كل من أ.د.محمود الكردي وأ.د.أحمد زايد، وهما من رواد مدرسة علم الاجتماع في مصر، رؤاهما للحركة باعتبارها حركة تحديث إسلامية تجمع بين الحداثة والإسلام في ظل نظام علماني تطورت على صعيده العلاقة بين الدين والدولة التركية.

ولقد طرحت دراسات ومناقشات هذا المحور الثاني، حول فكر كولن ونمط حركته في إطارهما التركي إشكاليات أربع، وهي: إشكالية علاقة الحركة بالعمل السياسي، وإشكالية موقفها من العلمانية التركية التي تطورت منذ منتصف القرن العشرين ومدى كون الحركة تعبيرًا عن تعايش بين الدين والعلمانية، تلك الأخيرة التي يرى كولن أنها إطار يحقق التعايش بين التيارات المختلفة في وطن واحد، وإشكالية العلاقة بالغرب، وأخيرًا علاقة القيادة بالحركة ومدى أهمية التركيز على الحركة وليس فقط على شخص القيادة.

<u>والمحور الثالث</u> تناولت بحوثه مجالات العمل وخبرات الممارسة في التعليم وفي الحوار والتصدي للفرقة وفي مكافحة الفقر: من المحلية إلى العالمية، وهي مجالات ثلاثة يمتد إليها نشاط الحركة داخل تركيا وخارجها؛ مقدمة نموذجًا فريدًا من الحركات الإصلاحية الإسلامية ذات الامتدادات الخارجية والتي تكتسب ذاتيتها ليس فقط من داخل حدود وطنها الأم –تركيا- ولكن من خلال هذه الامتدادات نحو الأمة وفي العالم.

وتناولت دراستان ***قضية التعليم***، قدمهما كل من د.سمير بودينار بعنوان: "فلسفة التعليم: السياحة في المجال الحيوي"، ود. رجب قيماقجان بعنوان "التعليم ومنظوماته المؤسسية: من المحلية إلى العالمية".

فقد أكد د. سمير بودينار في ورقته على أن التعليم مثّل المجال الأساسي الذي بدأت منه حركة كولن مسيرتها الإصلاحية. ذلك أن التعليم يمكن الحركة من بناء ما يسمى "النموذج الذاتي"؛ أي بناء الإنسان وتربيته على القيم التي تقوم عليها الحركة... كما يمكن الحركة من تحقيق "مهمة التبليغ"، التي يعتبرها كولن المهمة الأساسية لكل مسلم في الحياة.

ويحقق التعليم بناء ذلك النموذج الذاتي استنادًا إلى عناصر ثلاثة؛ أولها الإنسان الجديد، الذي يتسم بحرية التفكير والإرادة، الجمع بين الإيمان والعلم، استخدام وسائل الاتصالات الحديثة للوصول إلى عقول وقلوب الناس، عمق الجذور الروحية، حراسة القيم الإنسانية، الأصالة مع البعد عن التقليدية... أما العنصر الثاني الداعم لبناء النموذج الذاتي فيتمثل في قوة الإسلام ذاته، المستمدة من خصوصية رسالته، وتجاوزها لقوانين الزمان والمكان، والتكامل بين عناصره مع فعاليته لتحقيق مقاصده. وثالث تلك العناصر هو المرحلة الراهنة أو العصر، الذي أحسنت الحركة استغلاله والاستفادة من معطياته المتمثلة في العولمة والمناداة بحقوق الإنسان والحريات وغير ذلك.

وإذا كان د.بودينار ركز في كلمته على أهمية مجال التعليم في حركة فتح الله كولن، فقد جاءت كلمة د. رجب قيماقجان لتركز بشكل أكبر على رؤية كولن حول التربية والتعليم، وأساسها رفض الرؤية الحداثية للتعليم، التي تركز على الجوانب المادية والعقلية في العملية التعليمية فحسب

منكرة الجوانب الروحية. وفي المقابل يطرح كولن رؤية تعليمية بديلة تقوم على التزاوج والجمع بين الروح والمادة.

ومن ثم فإنه يرفض القول بوجود تناقض بين العلم والدين، بل إنه يحث -على العكس- على تشجيع البحث العلمي، ولكن مع عدم تجاهل القيم الروحية. وجاءت رؤية كولن تتوافق مع ظهور بعض الاتجاهات في الغرب ترفض الرؤية المادية البحتة للتربية، وتدعو إلى الرؤية الكلية للإنسان.

وعن كيفية تطبيق تلك الرؤية التربوية لفتح الله كولن في المدارس على أرض الواقع، أكد د. قيماقجان أن ذلك لم يكن بصياغة مناهج مخصصة أو إضافة مناهج دينية إضافية. بل باتباع نفس المناهج المحلية في كل بلد، والتركيز بدرجة أكبر على تقديم رؤية قيمية من خلال تلك المناهج، تقديم برامج تربوية موازية للمناهج الدراسية عن طريق المعلمين، والأنشطة المدرسية المختلفة.

هذا، وفي تعقيب أ.د.فتحي الملكاوي على مجال التعليم في حركة فتح الله كولن، أبرز الأمور المهمة التالية؛ من ناحية: أن الحركة وجدت في التغييرات العالمية فرصة وليس مجرد تحدٍّ، وأن التغيير على الساحة التركية الذي أفرز أزمة بين المجتمع والدولة قد ولَّد بدوره فرصة انتهزتها الحركة. من ناحية ثانية: اختار كولن خيار المدرسة المدنية وليس الدينية، وبالرغم من نقده للنمط المعاصر لكل منهما إلا أنه وضع شروطًا لتفعيل المدرسة المدنية. ومن ناحية ثالثة: الفلسفة التربوية الكلية قد فشلت نتيجة تغير وضع المدرسة في المجتمع، وفلسفة ما بعد الحداثة ليست بالفلسفة الكلية وكلا الفلسفتان الكلية وما بعد الحداثية لا يتواءمان مع أهداف مدارس كولن. ومن ناحية رابعة: أهمية المناهج الخفية الضمنية في مجال القيم، ومن ثم فإن الثقافة المدرسية والبيئة المدرسية تحققان غرسًا أكثر فعالية للقيم.

المجال الثاني لحركة فتح الله كولن هو ***الحوار والتصدي للفرقة***، وتناولت دراسة د. ياسين أقطاي خبرات حوار الداخل والمواطنة التركية. ولقد مثلت تجربة وقف جمعية اتحاد الكتاب والصحفيين إحدى هذه الخبرات، ولقد التف حول نداء فتح الله كولن جميع التوجهات السياسية والفكرية وقبلت به حكمًا في الحوار الداخلي، كذلك لعب الشيخ وحركته دورًا في تدشين الحوار مع الأقليات داخل تركيا.

كما مثل منتدى أبانت ملتقى يجمع أطيافًا فكرية وسياسية مختلفة تناقش قضايا تركيا والعالم والإنسانية. وتبين الدراسة جميع هذه الخبرات وتوضح مدى ما تمتلكه حركة كولن من رأسمال إنساني يستطيع أن يجمع به أطرافًا مختلفة لتجلس معًا وتتعارف وتتمكن من بلورة رؤى أعمق.

أما الحوار مع غير المسلمين، فلقد تصدت له دراسة د. محمد صفار انطلاقًا من المقارنة بين سيد قطب وفتح الله كولن. فقد اشتركا في تشخيص الأزمة التي يمر بها الإنسان؛ فأرجعها سيد قطب إلى الانفصال النكِد بين العلم والدين، وهو نفس ما يشير إليه كولن حين يتحدث عن الانفصال المزدوج.

فمما يجمع بين كولن وقطب فكرة معايشة الوحي عبر تجاوز زمني لاستعادة عصر التنزيل في عصر التأويل، وهو ما يتمثل في فكرة الشجرة والظل عند قطب، والرسول الشجرة عند كولن. وأشارت دراسة د.صفار إلى أن قطب يخاطب العصبة المؤمنة، أما كولن فيتحدث إلى براعم الإيمان. كما يجمع بين الاثنين عناصر توجه صوفي، يتمثل في الأدب مع الله، وحديثهما عن مهرجان التسبيح الكوني.

وتناولت الدرسة أيضًا جوانب الاختلاف بين المفكريْن، فأشارت إلى أن قطب رأى حتمية الصراع بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي، بينما يؤمن كولن بالحوار وقبول الآخر وقبول الاختلاف مع الحفاظ على الذات. كما أن لكل منهما تصورًا مختلفًا لشكل الزمان.

وفي تعقيبها على الورقتين، أكدت د. باكينام الشرقاوي على منهج التقارب الذي انتهجته حركة فتح الله كولن في حوارها داخل تركيا وخارجها. وأوضحت أن كلمة السر في نجاح الحركة هي فكرة الموازنة بين ثنائيات كثيرة: العلم والدين، الشرق والغرب، القلب والعقل...إلخ.

وأشارت إلى أن هناك عدة أسباب لنجاح الحوار داخل تركيا:

1. السياق الذي عملت فيه الحركة؛ حيث تتطور العلمانية في تركيا نحو مزيد من الليبرالية، كما أن التطور الديمقراطي رسخ دولة القانون في تركيا حيث الكلمة الفصل بين الحكومة والمعارضة هي للقانون، كما استخدمت الحركة البعد الخارجي بشكل نموذجي مما خلق بيئة دولية ترفع الداخل لإعطاء مجال أكبر للحركة مما أتاح لها فرصة للتطور.
2. استجابة كولن؛ حيث ركز على إصلاح الفرد كمقدمة لإصلاح المجتمع، وفعّل المناخ الصوفي في تركيا وعمل على تنشيطه وإخراجه من الكسل وتحويله إلى فعالية حركية اجتماعية. كما امتلك كولن المؤسسات التي تحول رؤيته إلى حركة وفعل عبر التعليم والإعلام.
3. ويقدم كولن رؤية أشمل ويعتمد المفاهيم التي يتبناها الفرقاء ويعطيها مضامين جديدة مكملة. فالإسلام مكمل للديمقراطية، والحداثة تحتاج للدين في المجال العام.

هذا ولقد أثارت المداخلات حول دراسات هذا المحور مسألة موقف الغرب من حركة كولن وترحيبه بها؛ حيث رأى البعض أن خطاب كولن يتناول قضايا تهم الإنسانية بأكملها، كما أن بياناته حول الإسلام والإرهاب لقيت اهتمامًا كبيرًا في الغرب.

ولقد تم التأكيد على أن الثقة بالذات شرط من شروط نجاح الحوار مع الآخر دون الجزع المبالغ فيه على الهوية والثوابت، وأن التصور الأمثل للإصلاح يصنعه أصحابه بأنفسهم.

وكان لابد لموضوع الحوار مع غير المسلمين، مسيحيين ويهود، أن يستثير الأسئلة من جانب الحضور، حيث إن المواقف في الدائرة العربية -وخاصة المصرية- لا تتوافق حول ضرورة هذا الحوار وأهميته وخاصة مع اليهود، في حين أن حركة كولن تهتم بتفعيله وخاصة في توجهها الخارجي نحو الغرب.

أما المجال الثالث هو مجال ***مكافحة الفقر والإغاثة الإنسانية***، وتناولته دراستان، الأولى قدمها أ.د.عمار جيدل، والثانية قدمها أ.عبد الله عرفان وأ.أيمن شحاتة.

تناولت دراسة د.عمار جيدل وعنوانها" محاربة الفقر: المنطلقات والغايات- حركة فتح الله كولن أنموذجا" الخلفية الفكرية والتربوية لمحاربة الفقر كما وضعها الأستاذ فتح الله كولن، و الجوانب التطبيقية من فكرة محاربة الفقر كما جسّدها الذين امتلأت قلوبهم بفكرة "الخدمة الإيمانية".

أشارت الدراسة إلى أن الشيخ فتح الله كولن يرى أن الفقر الأخطر يكمن في عدم امتلاك العلم والفكر أو المهارة؛ لذا فالأغنياء الذين لا يملكون لا علما ولا فكرا ولا مهارة هم فقراء في الحقيقة، وبيّن في هذا السياق أنّه يعرض نمطين من الفقر: أولهما معنوي، والآخر مادي. من هنا اتخذت محاربة الفقر عند الأستاذ مسلكين أساسين: المسلك الأول- محاربة الفقر المعنوي، والمسلك الثاني- محاربة الفقر المادي. وهما يشتركان في اعتمادهما الكلي على أساس واحد، فلا يشيعان (الفقر المعنوي الفقر المادي) أو يعيشان إلا حيث يستقر الجهل وتغيب الخدمة الإيمانية. لهذا كان من أولويات الخدمة الإيمانية محاربة الفقر الأول الذي يعد أساس محاربة الفقر الثاني. وتناولت الدراسة جهود مؤسسات الخدمة فى مجالات التعليم والإعلام والصحة والإغاثة والصناعة والتجارة داخل تركيا وخارجها.

وتناولت ورقة "برامج ومشروعات مكافحة الفقر في الداخل والخارج: نماذج مختارة" التى اشترك فى إعدادها الباحثان أيمن شحاته وعبدالله عرفان، برامج ومهامّ مكافحة الفقر في مصر وتركيا، مع مراعاة سياق كل تجربة من جهة البيئة الثقافية والاقتصادية والسياسية والمؤسسية المحيطة بهذه المشروعات والبرامج. حيث عرضت الدراسة أبعاد الرؤية التنموية لدى الشيخ محمد فتح الله كولن، والتي تظهر في أفكاره ونمط حركته والمشروعات المتنوعة التي تنبثق عنها. فإنها وإن كانت في بعض مؤسساتها متخصصة في محاربة الفقر، فإنها قبل ذلك وبعده تؤسس لتنمية إيمانية عمرانية مستدامة. ثم عرضت الدراسة بعض برامج ومشروعات مكافحة

الفقر في تركيا ومصر، وركزت على جهود حركة فتح كولن فى تركيا والجمعية الشرعية في مصر، فتناولت البرامج والأنشطة الخاصة بمحاربة الفقر لدى كل منهما سواء على المستوى المحلي أو الدولي، وكيفية تنفيذ هذه الأنشطة على أرض الواقع المحلي والعالمي. وتناول الباحثان أنشطة جمع التبرعات والتعرف على تنوعها وآلياتها، وجهود كل منهما للتعريف وبأنشطتهما بغرض جمع التبرعات.

ثالثًا- سياق انعقاد المؤتمر في جامعة الدول العربية: المغزى والدلالة:

1- شهد المؤتمر إقبالاً شديدًا ممتدًا على مدى أيام انعقاده الثلاثة وأقبلت على جلساته فئات متنوعة من المصريين، وحظيت موضوعاته باهتمام شديد جسده عدد الأسئلة المكتوبة والتي وصلت إلى (500) سؤال تقريبًا.
كذلك شارك في المؤتمر ما يقرب من مائة وخمسين مدعوًا من أفريقيا وآسيا وأوروبا والولايات المتحدة وروسيا، كما حظي المؤتمر بتغطية إعلامية واسعة.
وكما اتسمت جهود الإعداد للمؤتمر، عبر ما يقرب من الشهور الثمانية، بالتلاحم الشديد بين الأتراك والمصريين، وبالحوار الحي البناء الذي يفوق ما تطرحه الكلمات من دعاوى الحوار، فلقد شهدت أيام المؤتمر الثلاثة تلاحمًا وتفاعلاً آخر دعَم ما توطد من أواصر فكانت هي بذاتها منتجًا أساسيًا من منتجات المؤتمر، وتعبيرًا حيًا عن مرحلة جديدة نوعية في العلاقات بين الإخوة المصريين والأتراك.
ولهذا فلقد أضافت خبرة إعداد المؤتمر لخبراتنا في مركز الدراسات الحضارية مع إخوتنا الأتراك في إسطنبول والممتدة منذ 2005، واتسمت دائمًا بالدفء وصدق النوايا وإخلاص العزيمة وابتغاء مرضاة الله؛ من خلال العمل الدؤوب لإعادة اللحمة بين شعوب الأمة الإسلامية التي فرقتها نوازل السياسة والتدخلات الخارجية.

2- ليس من قبيل المصادفة أن يكون لكل من مكان انعقاد المؤتمر، وشعار المؤتمر والمحاضرة الافتتاحية مغزاه ودلالته، فبالنسبة لانعقاد المؤتمر في الجامعة العربية فالإسلام والعروبة صنوان ومستقبل الإصلاح في العالم العربي يقع في قلب مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، ولقد مثلت أركان الأمة (مصر وتركيا وإيران) عبر تاريخها أعراق وأقوام الأمة المتنوعة.
ومن ثم أنوه إلى أن القاعة الكبرى الرسمية في الجامعة تتصدر قمتها ثلاث آيات قرآنية تقدم الكثير بالنسبة لصميم موضوع المؤتمر. الآية الأولى هي: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وهي تتوسط الآية الكريمة: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وآية: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ) .
إن قيمة التغير ابتداء من النفس والذات إلى قيمة خيرية هذه الأمة ليس بمجرد إيمانها ولكن أيضًا بحضورها وشهودها، وإعلائها قيمة الوحدة والتضامن، ثلاث قيم أساسية ترتكن إليها فلسفة المؤتمر وهدفه. وتقدم لنا حركة فتح الله كولن -مقارنة بحركات الإصلاح الإسلامية الراهنة والسابقة- دلالات مهمة بشأن كيفية تفعيل هذه القيم الثلاث المتصلة بالذات وبالأمة.

أما شعار المؤتمر فيضيف أمورًا أخرى حول أهداف المؤتمر وموضوعاته. فإذا كان الإسلام رسالة ودعوة للعالمين فإن مستقبل إصلاح العالم الإسلامى يمثل مدخلاً مهمًّا في مستقبل إصلاح العالم، بل هو أيضًا شرط له؛ وذلك على ضوء أوجه تميز النموذج المعرفي والحضاري الإسلامي (الوسطي التعارفي التعددي) فى مقابل النماذج المادية الصراعية الاستئصالية.

كما أن حالة العالم وطبيعة من يقوده سياسيًّا وفكريًّا تنعكس على درجة سلامة هذا العالم ورخائه واستقراره، بل ودرجة ما يعكسه من قبول التنوع والتعدد الحضاري. هذا ولقد كانت مصر وتركيا ركنيْن أساسيين في كافة مراحل تطور وضع العالم الإسلامي وموضعه من النظام الدولي، قوة أو ضعفًا، صعودًا وهبوطًا، ودائمًا كانت الرموز الفكرية والدعوية

والسياسية من المصريين والأتراك تقوم بأدوارها القيادية فى الحركات الإصلاحية. وها هو الشيخ فتح الله كولن، بما حققه وحركته من إنجازات خلال النصف القرن الأخير، ينضم إلى هذه السلسلة الذهبية من الأعلام والمجددين والمصلحين، الذين وإن اختلفت تجاربهم وتنوعت، إلا أنهم تركوا بصماتهم على مسار هذه الأمة.

وعلى ضوء ما سبق، يتضح مغزى حمامة السلام التي تتصدر شعار المؤتمر من ناحية محلقة فوق رمزين من أهم رموز مصر وتركيا، ومن ناحية أخرى؛ تنجلي من وراء أشعة الضوء ملامح الشيخ فتح الله كولن.

وأخيرًا ، فإن مشاركة أ.د.أحمد الطيب بمحاضرة افتتاحية للمؤتمر تعكس ما يجب أن يكون للأزهر الشريف، جامعًا وجامعةً، من دور فى عملية الإصلاح في العالم الإسلامي.

3- كل هذا جرى في رحاب جامعة الدول العربية التي استضافت المؤتمر، وأحاط الأمين العام للجامعة السيد عمرو موسى ومدير مكتبه السفير هشام يوسف الإعداد للمؤتمر وانعقاده بكامل رعايتهم. كما قدم المسئولون عن إدارة المؤتمرات في الأمانة العامة للجامعة كل التسهيلات الممكنة.

وفي الجلسة الافتتاحية التي شارك فيها كلٌ من الأستاذة الدكتورة عاليا المهدي عميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر، ود. مصطفى أوزجان رئيس وقف أكاديمية البحوث والانترنت باسطنبول، كان من قبيل المفاجأة السارة أن وجه أ.فتح الله كولن كلمة طيبة إلى المؤتمر قرأها أ. نوزات صواش.

وكان محور كلمة الشيخ فتح الله كولن هو الإنسان، ولذا ليس من قبيل المصادفة ما عنونت به مقالتي هذه.

يقول الشيخ كولن: **"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.**

أيها السادة الكرام، أعضاءَ هذا المؤتمر العلمي المبارك، من باحثين وعلماءَ ودعاةٍ ومفكرين، أيها الأحبّة الأوفياء...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إن مؤتمركم هذا جدير بأن تُشَدَّ إليه الرحال. ولولا ظروف صحية تمنعني من مغادرة إقامتي، لكنت أول الحاضرين معكم، ولتربعت جالسًا بين أيديكم، مستمعًا إلى عروضكم القيِّمة، ألتقط درر أفكاركم وتوجيهاتكم. وما ذلك إلا لأن هذا الذي اجتمعتم اليومَ من أجله هو قضية الأمة الأولى، إنها قضية الإصلاح. هذا المفهوم الذي كان ولم يزل أكبر إشكال واجهه الفكر البشري، بمختلف تصوراته ورؤاه. ورغم ما كُتب في موضوعه على المستوى الفكري الصرف؛ فقد بقيت كثير من أسئلته الفلسفية والاجتماعية معلَّقة في أفق العقل المعاصر. والدليل على ذلك وضع العالم اليوم، المتخبطِ في متاهات الحيرة والاضطراب، بعد استهلاك كثير من نظريات الإصلاح هنا وهناك، ولكن دون جدوى.

أما بالنسبة لنا نحن معشرَ المسلمين، في عالمنا الإسلامي هذا، فإننا رغم ما نملك من رصيد تاريخي ضخم في هذا الشأن؛ إلا أننا ما زلنا نعاني في أغلب الأحوال من عدم وضوح الرؤية، وكثرة العثرات والانكسارات. وذلك لأسباب شتى، منها عدمُ ضبط مفهوم الإصلاح، كما ورد في الكتاب والسنة، وكما مارسه الأنبياء الكرام عبر التاريخ.

أيها الحضور الكريم،

إن نبينا محمدًا (صلى الله عيه وسلم)، كان إمام المصلحين، وقد بُعث رحمة للعالمين، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ). ومن ثَمَّ كانت الرحمةُ هي أساسَ دعوته، وجوهرَ منهاجه الإصلاحي، حتى في أشد الظروف عنفًا وشدة. فإن الإصلاح الحق هو الذي يحمله رجال مخلصون، متعلقون بأشواق الروح، منكرون لذواتهم ومصالحهم الشخصية، ينظرون إلى مظاهر الانحراف في الآخرين بعيون الشفقة والرحمة، ويعالجون جراحات الآخرين، باعتبارها قروحًا تنزف في أجسامهم هم.

إن الإصلاح تربية وتعليم، وما كان ينبغي للمعلم إلا أن يكون رحيمًا حكيمًا. ومن ثَمَّ فإن التعليم بكل أبعاده الشمولية، هو الذي يمثل جوهر المنهاج الإصلاحي، وقد ثبت في الحديث الصحيح قولُ النبي (صلى الله عليه وسلم): "إنما بُعِثتُ مُعَلِّمًا".

إن سر مركزية التعليم في العمل الإصلاحي، هو دورانه على الإنسان، مُعَلِّمًا ومُتَعَلِّمًا. ذلك أن المعلم المنخرط في مهنته بروح التعبد الخالص، يستطيع أن يصنع من تلميذه إنسانًا جديدًا، ينظر إلى مستقبل الأمة بعيون يملؤها الأمل، وقلبٍ ينبض بالمحبة والسلام. ومن ثم فإن إصلاح الأجيال، مرتهن بإصلاح التعليم، وإخراج فلسفته من ضيق المنطق الوظيفي الميت، إلى سَعَةِ العمل الإنساني النبيل، ألا وهو بناء الإنسان بكل أبعاده النفسية والفكرية. وإن التعليم بهذا المنطق النبوي الكريم، يستطيع أن يجدد البنى الاقتصادية، والعلاقاتِ الاجتماعية والسياسية والثقافية في البلاد، ويحدوها برفق وهدوء، نحو التآلف والتكامل والنهوض.

إن أول خطوة في مشروع الإصلاح، هي إنتاج الإنسان، الإنسان الذي فَنِيَ عن نفسه في قضية أمته، وتعلق قلبه بأشواق الآخرة، ثم اتخذ مهمته التعليمية مسلكًا لمعرفة الله وعمارة الأرض.

وأخيرا، بارك الله في مؤتمركم.. وزكّى حواراتكم.. وجعل كل كلمة من كلماتكم (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا). والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

<u>رابعًا: نتائج المؤتمر: كيف استقبل "المصريون" الحركة وفكرها؟</u>

قالت "جيل كارول" في بداية الجلسة التي رأستها -وكانت عن الحوار- إن أحد أهم أسباب مشاركتها في المؤتمر هي التعرف على نمط استجابة المصريين لهذه التجربة التي تعرف عليها الغرب وأشاد بها قبل أن يتعرف عليها الجوار العربي لتركيا، ولقد أشاد بها الغرب باعتبارها توفيقًا بين الحداثة والديمقراطية والعلمانية وبين الإسلام. وإذا كانت اقترابات المؤتمرات الغربية من فكر كولن والحركة قد استدعت قضايا من قبيل الحداثة، الديمقراطية العلمانية، التعددية، المواطنة، الاندماج وما يرتبط بها من مفاهيم المجتمع المدني، المجال العام، التغيير المجتمعي، ومع إعطاء اهتمام خاص بقضايا العنف واندماج مسلمي الغرب والحوار الإبراهيمي ومكافحة الإرهاب والتطرف، فإن اقتراب مؤتمرنا في القاهرة، كان مختلفًا يبحث في غايات أخرى تتصل بمستقبل مسار حركات الإصلاح في العالم الإسلامي. كما سبق وأشرنا.

إن تشخيص الوضع الراهن المعاصر للمجتمعات والنظم العربية والإسلامية يبين كيف أن جهود الإصلاح والتجديد التي تمثل امتدادات لاتجاهات وحركات الإصلاح الحديث (ابتداءً من القرن التاسع عشر الميلادي) إنما تعاني من ضعف الانسجام والتنسيق بين المداخل الأساسية للإصلاح في العالم الإسلامي: المدخل السياسي، والمدخل التربوي- الاجتماعي، ناهيك بالطبع عن المدخل العقدي. ومن ثم، فإن تحديات الوضع الراهن من ناحية ودواعي التفكير الاستراتيجي في متطلبات الاستجابة الفاعلة لهذه التحديات، من ناحية أخرى، تفرض البحث في تفسير هذه الظاهرة؛ أي عدم الانسجام بين هذه المداخل والبحث في النماذج التي تجاوزت هذا الوضع، وكيف أدركها وعالجها الرواد والمصلحون المعاصرون خلال النصف قرن الأخير، وأين دلالة النموذج التركي في هذا السياق؟

ومن ثم باستدعاء ما حدده المؤتمر من غايات وأهداف، وما طرحته البحوث والمناقشات من قضايا وأفكار، حددت **الجلسة الختامية** مجموعة من النتائج طرحها تفاعل المصريين مع خبرة حركة فتح الله كولن (فكرًا وممارسة):

الإشكالية الأولى: العلاقة بين الفكر والحركة، حقيقة هناك قواسم مشتركة بين فكر كولن الراعي لإصلاح الإنسان وفكر أعلام آخرين انطلقوا من نفس المنطلق؛ نظرًا للاشتراك في مرجعية واحدة.

ولكن يظل الفارق هو أن كولن لم يكن مجرد مفكر ولكنه مصلح نقل الفكر إلى مجال الحركة وبطريقة مؤسسية منظمة ومتعددة المستويات ومتعددة المجالات، وعلى نحو يمثل شبكة من التفاعلات المتعاضدة التي يقوم بها وعليها "حفنة من المجانين" تقدم طاقاها البشرية وليس المالية فقط، استجابة لفكر قيادة إيمانية. وفي هذا يقول فتح الله كولن في مقال "إنسان الفكر والحركية" (أكتوبر 1994):

"إنسان الفكر والحركية هو رجل الانطلاقة والحملة، الحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجددًا، ويمثل حركة إقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل إلى السقوط ومنذ عصور، ويُفسر قيمنا التاريخية كرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الإرادة والمنطق في الفكر والحركة، وينقش على قماش روحنا ومعنانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا.

فهو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس إلى الفكر، ثم إلى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، وينشغل بحس البناء والإنشاء أبدًا. إنه وليّ الحق اللدني الذي يُعِدّ "قادة أركان" الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، بدلاً عن استخدام القوة المادية لفتح البلاد ودحر الجيوش".

وهذا الفكر الذي تنطلق منه الحركة ليس إلا فكرًا إسلاميًّا يبدأ من القلوب من داخل الإنسان ليشع الإيمان عملاً. وفي هذا يقول أيضًا محمد فتح الله كولن في مقاله "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي" (1999):

"منذ أن نصب الإسلام سرادقه في الأرض، توجه إلى القلوب بأشد قوته، وسعى لفتح القلوب، ورسَمَ صورتَه في كل وجدان، ثم حَمَل على وحدات الحياة كلها. فثم تناسب دائم بين تعمقه في الصدور وتأثيره في فصول الحياة. فبقدر عمق تغلغله في الأرواح وتأصله فيها، يطفح فيضُ تأثيره في حياتنا وانعكاساته فيما حولنا. بل نستطيع القول بأن الآمال والأشواق ومسلمات القبول المستيقظة فيما حولنا باسم الإسلام، تتحقق تمامًا، بالتناسب مع عمق هذه الصورة الداخلية وسعة إحاطتها. فكلما تعمق القبول الابتدائي هذا في دواخل البشر، زادت قوة تأثيره في البيئة المحيطة، وتحددت الوجهة التي يوليها المجتمع في حياته الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية. ذلك في كل زمان وبقدر هذا الإذعان الداخلي. نعم، المجتمع –من كل الوجوه- يحمل في سيماه خطوطًا مهمة منه، ويُظهر الفن والأدب على محياه ألوان هذا المحتوى الداخلي وزخارفه، ويُسمَع ويُستشعَر في كل مكان بين سطور الوجود والأشياء صوت هذا المحتوى الداخلي ونَفَسُه وأداؤه، ويشجي كل شيء مرئي أو خافٍ أسماعنا بأنغام رائعة يلحنها لسان هذا المحتوى الداخلي الصامت بلا صوت ولا كلام".

إذن المطلوب هو الفعل المقرون بالإيمان والإخلاص. وفي هذا يقول أيضًا الشيخ فتح الله كولن: "لو أن المرء طلب الإخلاص واليقين في اليوم مائة مرة فما هو من المكثرين. لكن كيف ينبغي أن يكون الطلب؟ دعاءَ قول أم دعاءَ فعل؟ أرى أن دعاء الفعل هو الأصل، لكنه لا يمنع من دعاء القول. أما الأفضل فدعاء قول يلازمه دعاء فعل. وإذا كان لنصيحتي مكانة عندكم، فنصيحتي الأولى والأخيرة هي أن تطلبوا مرضاة الله تعالى. فقد تنسون طلب الجنة في دعواتكم أو الاستجارة من النار، لكن حذار أن تنسوا طلب الإخلاص واليقين بإلحاح؛ لأن الأمر لا يحتمل النسيان. إذا تلاشى الإخلاص وضاع اليقين لدى الفرد فقد تدحرج في فراغ مخيف؛ إذ أقواله لا تتجاوز حنجرته، وأفعاله لا تعبر عن أي معنى نبيل".

إذن مصدر الفكر التجديدي ومبدعه، الشيخ فتح الله كولن، يريد حركة مقرونة بإيمان وإخلاص ولا مفر أن يقوم عليها "حفنة من المجانين"، وفي هذا يقول أيضًا الشيخ فتح الله: "مجانينَ أريد، حفنةً من المجانين... يثورون على كل المعايير المألوفة، يتجاوزون كل المقاييس المعروفة. وبينما الناس إلى المغريات يتهافتون، هؤلاء منها يفرون وإليها لا يلتفتون. أريد حفنة ممن نسبوا إلى خفة العقل لشدة حرصهم على دينهم وتعلقهم بنشر إيمانهم؛ هؤلاء هم "المجانين" الذين مدحهم سيد المرسلين؛ إذ لا يفكرون بملذات أنفسهم، ولا يتطلعون إلى منصب أو شهرة أو جاه، ولا يرومون متعة الدنيا ومالها، ولا يفتنون بالأهل والبنين...

يا رب، أتضرع إليك... خزائن رحمتك لا نهاية لها، أعطِ كل سائل مطلبه، أما أنا فمطلبي حفنة من المجانين... يا رب يا رب...".

إن أهمية وتفرد هذه العلاقة بين الفكر والحركة في منظومة الشيخ فتح الله كولن (والتي محورها إعادة بناء "الإنسان الجديد")، قد نوه إليها **المستشار طارق البشري** (المؤرخ والمفكر الإسلامي، ونائب رئيس مجلس الدولة المصري الأسبق) في المحاضرة الختامية للمؤتمر. حيث بدأها مؤكدًا **أن الواقع هو مفتاح فهم المستقبل، وأن أسئلة الحاضر الممتد هي التي تصوغ رؤيتنا المستقبلية في الفكر والحركة**. وأننا حين ندرس خبرات الإصلاح لا ندرسها لننسخها في بلادنا دون مراعاة لاختلاف السياقات الزمنية والمكانية والاجتماعية والثقافية، وإنما ندرسها للاستفادة منها مع مراعاة هذه الفروق الدقيقة. **وأن مشكلة الأمة تتمثل في أن "أذرعنا لا تعمل جيداً، وأرجلنا لا تسير جيداً، وهي مشكلة حركية تتعلق بالقدرة على جعل أهدافنا تتوافق مع مصالحنا مادياً ومعنويًا"**.

وخلص المستشار البشري في نهاية محاضرته إلى أن مشكلتنا الحقيقية التي يعاني منها واقعنا الآن لا تكمن أبدًا في ضعف الأفكار، وإنما تكمن في ضعف التنظيم، وعلينا أن نواجهها بما يملك أصحاب القدرة على الحركة والتحريك من إمكانيات القيام بها.

الإشكالية الثانية: العلاقة بين الواقع والاجتهاد، الاستجابة لتحديات الواقع وإدراك ما يقدمه من فرص وما يفرضه من قيود وضغوط، دون التخلي عن الثوابت. وبينت حركة فتح الله كولن وفكره الارتباط الوثيق بالواقع المحيط ومن ثم عدم الاكتفاء بالأطروحات الفكرية والنظرية، ولكن التوجه إلى وضع خطط وبرامج عملية للالتحام بهذا الواقع من أجل تغييره وفقًا للمرجعية الإسلامية وباجتهاد وتجديد في الطرائق والسبل بما يستجيب للإطار الوطني والإطار العالمي ولا يبقى دعاوى الإصلاح حبيسة الآمال والأحلام أو فريسة لصدام والتصفية. وفي هذا يقدم فتح الله كولن في مقاله "الإنسان الجديد" (مارس 1991) تحليلاً واعيًا بمسيرة تاريخ الإنسانية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، مبشرًا بأن القرن الواحد والعشرين سيكون قرن الإيمان والمؤمنين وعصر انبعاثنا ونهضتنا من جديد. كما يقدم في مقاله "نحو عالمنا الذاتي" (أكتوبر 1993) تصوره عن كيف يمكن أن نفتح للعالم صفحة جديدة بالتوصل إلى تفسير جديد للكون من خلال الإحساس بالروح الإسلامي ومعناه. وهو يقول أيضًا في مقاله "نحو عالم الغد" (يوليو 1993) "أن أساس حياتنا الروحية قائم على الفكر الديني... والذين يختلقون صدامًا بين الدين وبين العلم والمحاكمة العقلية، هم بؤساء جهلوا روح الدين والعقل... لنضع جانبًا بلبلة التكوينات الجديدة في العالم، نحن لا نصدق بولادة شيء جديد –من الكيان الرأسمالي القديم، أو أحلام الشيوعية أو تكسيراتها الاشتراكية أو هجينها الديمقراطية الاجتماعية، أو خرق الليبرالية التالية. الحقيقة هي أنه إنْ كان ثَمّ عالم مشرع الأبواب لنظام عالمي جديد فهو عالمنا نحن...".

إذن فإن كولن، ومنذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية ودخول العالم مرحلة تحولات جديدة، قد أدرك حقيقة هذا الواقع وتهاوي فلسفاته المادية ودخول المجتمع التركي من ناحية - والمجتمع العالمي من ناحية أخرى- مرحلة مراجعة تستشعر فراغًا يتطلب من يملأه، وقدم فتح الله كولن اجتهاده الإسلامي ليس لتركيا فقط ولكن للعالم كله.

الإشكالية الثالثة: العلاقة بين الداخلي (الوطن) والبيني (الأمة الإسلامية)، والخارج (العالم). فالإصلاح في العالم الإسلامي خلال المرحلة الراهنة من تطوره يواجه تحديات العولمة وتزايد اختراق الخارجي للداخلي؛ بحيث لا تنفصل معطياته الداخلية عن هذه التحديات، وقدمت حركة كولن استجابة لمتطلبات المجتمع التركي في علاقته بالدولة، كما مثلت وعيًا بأن الداخل التركي جزء من الأمة الإسلامية، وأن على تلك الأخيرة واجب نحو الإنسانية والعالم لإيجاد حل لأزمة الحضارة المادية؛ ومن ثم تقدم بديلاً للإنسانية من مرجعية إسلامية.

فباستقراء تاريخ حركات الإصلاح الإسلامي، وتيارات الفكر الإسلامي، خلال القرون الثلاثة الأخيرة، على الأقل، يمكن ملاحظة أنه كان لها امتداداتها خارج نطاق ظهورها، وأنه كان لها انعكاسات في دوائر ومستويات متداخلة، إلا أنه في ظل العولمة وثورة المعلومات وفي ظل التكالب الاستعماري الجديد على العالم الإسلامي، وفي ظل تدفقات هجرة المسلمين إلى الغرب وتبلور الوجود المسلم في مجتمعاته، أضحى للفكر الإصلاحي والحركات الإصلاحية الإسلامية امتداداتها الطبيعية في الغرب أيضًا، وليس في أرجاء العالم الإسلامي فقط.

وإذا كان الداخل التركي قد مارسَ تأثيره على ما تواجهه هذه الحركة من فرص وقيود، فمما لاشك فيه أن الاهتمام المتنامي في الغرب بفكر الشيخ فتح الله كولن وحركته، وتصنيفها بأنها تعبير عن نمط من إسلام ليبرالي أو إسلام حداثي وعلماني يحقق الالتقاء بين العالم الإسلامي والغرب له دلالات أخرى.

هذا النمط من الاهتمام الغربي أثار تساؤلات، وأحيانًا شكوك واتهامات حول "الثابت والمتغير" في اجتهاد هذه الحركة التجديدية الإصلاحية، وهو أمر تكرر ظهوره مع جميع حركات الاجتهاد والإصلاح خلال قرون ماضية، وهذا ما نوَّه إليه كلٌ د.محمد عمارة ود.محمد سليم العوا خلال المؤتمر.

الإشكالية الرابعة: مدى تحقيق الانسجام بين الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية لخبرات الإصلاح من أجل تحقيق هدف النهضة.

إن كان الغرب قد درَجَ على تصنيف حركات الإصلاح وتيارات فكره الإسلامي بقدر ابتعادها أو اقترابها من نموذجه، ومن هنا كانت تصنيفات المعتدل، الراديكالي، الحديث، السلمي، العنيف... فإن تصنيفات أخرى في العالم العربي والإسلامي قد درجت على التصنيف وفق مجال الإصلاح. ومن هنا برزت ثنائية ما هو سياسي، وما هو لاسياسي، وفقًا للمفهوم الحداثي الوضعي العلماني للسياسة، باعتبارها صراعًا من أجل السلطة والحكم بالأساس، كذلك برز الفصل بين جوانب الحياة، كما لو أن الإصلاح يمكن أن يتحقق على جانب تاركًا الآخر. في حين أن الحقيقة أمر آخر، ألا وهي أن جميع مجالات الحياة -وفق الرؤية الإسلامية- تتحاضن وتصب في بعضها البعض. وأن كان الأمر يقتضي اختيار منطلق للبداية. ويظل منطلق إعادة بناء الإنسان اختيارًا لابد أن يقود إلى الاختيارات الأخرى.

وإذا كان قد شاع عن الشيخ محمد عبده مقولته الشهيرة "لعن الله السياسة" فلا بد وأن نستحضر أيضًا قوله –غير الشائع- أنه بدون تربية وتعليم ستتكرر الانقلابات والثورات بلا نتيجة. بعبارة أخرى، إذا كان قد ركز الغرب والمسلمون على الإسلام بوصفه قوة سياسية وجهادًا عسكريًّا، إلا أن تلك القوة لم تتحقق، ولن تتجدد بدون النهوض بالإنسان ابتداء؛ أي ما أسماه الشيخ فتح الله كولن "الجهاد المعنوي". وأرى أنه الأساس للإسلام الحضارى الشامل لكل جوانب الحياة وليس مجرد مايسمى الإسلام السياسى أو الإصلاح التربوى أوغيرها من التصنيفات الجزئية.

فيقول الشيخ في مقال "الشعور بالمسئولية "(يوليه 1995):

"لقد كان لكل عصر كرامة. فولدت الإنسانية من جديد بالإسلام في القرن السادس الميلادي، وعاد كثير من أقوام الترك إلى الحياة كَرَّة أخرى بالإسلام في القرن العاشر الميلادي، وانشقت بالاستحالة شرنقة عن فراشة في "سوكود" في القرن الرابع عشر الميلادي. وأظن أن كرامة القرن الحادي والعشرين ستظهر بملء شعبنا والشعوب المرتبطة به مكانه اللائق في الموازنات الدولية. وسيدور هذا التكون الجديد الذي يغير وجهة تاريخ العالم ومسيرته، في أفلاك الروح والأخلاق والعشق والفضيلة. نعم، نؤمن أننا بهذا الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل أيضًا، سنلم شعث أشلاء "أمتنا" المباركة الممزعة البئيسة والمشردة في أرجاء الأرض المختلفة، لتجتمع الأجيال التي ظلت بلا راع ولا غاية حتى اليوم في ظل الفكر، فتعيش "الانبعاث بعد الموت" من جديد من نشوة الوصل بـ"لواء الحمد".

كذلك يقول الشيخ في مقال "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي (أبريل 1999):

"إن الهمم الفكرية والتخطيطية والفنية تولد ابتداءً في ذات الإنسان، ثم تتشكل صورها، ثم تتوسع وتنبسط إذا وجدت المناخ الملائم للنمو والتطور. فكذلك أيضًا العبادات والأخلاق والحياة الروحية والثقافية والمناسبات البشرية الأخرى كافة يُستَشعَر بها بداية في عمق الإنسان إيمانًا وإذعانًا، ثم تنمو لتحيط بالحياة كلاً، وتسربل بصبغتها التصرفات البشرية كافة، فتكون مُعِينا ومُوَجِّها أساسيًا لكل همة وحملة وحركة وفعالية، مشعرًا بنفسه وبوجوده في كل الأحوال... ومن الحق أن حقيقة الإيمان المتأصلة في عالمنا الداخلي، إنما تديم وجودها بقدر تناميها وتوسيعها في الحياة الواقعية... فإذا بُذِرت بذور الإيمان وترعرعت واخضرّت في القلوب، ثم تحولت إلى استقامة ووثوق في التصرفات، وانقلبت إلى وقار وخشوع في الصلاة، ورفدت وازع الحقانية والعدل في علاقاتنا الاجتماعية؛ فذلك يعني أن الأفق منبسط أمامه إلى اللانهاية للتطور والتوسع".

خلاصة القول: لقد قدمتُ مجموعة النتائج العامة السابقة مقرونة باستشهادات من فكر الشيخ فتح الله كولن، وذلك ليس إلا لمجرد ضرب الأمثلة من الخريطة العميقة لفكر هذا الشيخ المصلح. حرصت على هذا لبيان أن المؤتمر، مهما كانت دلالاته، إلا أنه لم يستطع أن يقدم قراءة عميقة في خرائط فكر الإنسان، الشيخ، العالم، المفكر، الفقيه، المصلح، الناشط، الصوفي،... **فتح الله كولن**، وتجلياتها العملية في مجالات الحركة الإصلاحية، سواء داخل تركيا وخارجها، في أنحاء الأمة الإسلامية، وبقية أرجاء العالم. كما لم يستطع المؤتمر بالطبع أن يعكس حقيقة جهود المنتمين لهذه الحركة، ومدى ما يمثله الفكر والحركة من جديد أو من استمرارية مقارنة بخبرات إصلاحية أخرى في العالم الإسلامي.

ولقد أجمعت الشهادات التي قدمها في الجلسة الختامية للمؤتمر كلٌ من د.حسن أبو طالب د.ناهد عز الدين، د.هبة رءوف، د.هدى درويش، أ.عصام سلطان على هذا. حيث ركز د.حسن أبو طالب على اهتمام الحركة بتقوية الروح والنفس، مع اهتمامها بالتنظيم وإقامة المؤسسات والابتعاد عن الشخصنة. أما الأستاذ عصام سلطان، فأشار إلى إيمان الحركة بشمولية الإسلام والتخصص فى العمل. أما د.ناهد عز الدين، فأشارت إلى اهتمام الحركة بالشباب وتناولت مفاهيم أساسية في الحركة وهي: الخدمة، والهمة، ومفهوم "المتولى" الذي يقتدي به الطلاب. وأشارت د.هبة رءوف إلى أن هناك "روحًا تسري" في الحركة تفسر ما يقوله البعض عن الحركة بأنها تنظيم ولا تنظيم. وركزت على "الأدب" الذي تتسم به الحركة وأعضائها حيث الحرص على استعادة البعد الأخلاقي في بناء الإنسان.كما استعرضت د.هدى درويش بعض المبادرات والأنشطة التي قامت بها الحركة. أما د.يوهان (أكاديمي ألماني)، فركز على كيفية تعامل الحركة مع أسئلة: لماذا نصلح، وما الذي نصلحه، وكيف نصلحه؟ كذلك أبرزت هذه الشهادات الحاجة إلى مزيد من الانفتاح والتفاعل العربي التركي مع الأخذ في الاعتبار خصوصيات الأطر الداخلية لكل من الجانبين.

هذا ولقد ركزت محاضرة **المستشار طارق البشري** في ختام المؤتمر على مدلولات خبرة العلاقات العربية التركية التاريخية بالنسبة لواقع هذه العلاقات ومستقبلها. فلقد شدد البشري على أهمية التجربة العثمانية، ولفت الانتباه إلى أن فترة الحكم العثماني للدول العربية كانت المعوق الرئيسي لتجدد الحركة الصليبية في منطقتنا لأنه على مدى التاريخ كان خط الدفاع الرئيسي لهذه المنطقة يتكون من نقاط ثلاث: دمشق، القاهرة، الحجاز، وما من دولة رمت إلى الوحدة والنهوض إلا وسعت إلى التكامل مع هذه النقاط التي تحولت إلى *"سور الإسلام العظيم"* بانضمام اسطنبول والأناضول فأصبح هذا السور خطًا رادعًا لأية أطماع خارجية.

وعرض المستشار البشرى لبعض **المحطات المهمة في علاقة مصر والحركة الوطنية المصرية بالدولة العثمانية**: فبمعاهدة لندن 1840 صار لمصر تاريخ شبه مستقل عن الدولة العثمانية حيث ضعف التأثير المتبادل لكن الصلات الحضارية لم تنقطع بين استانبول والقاهرة.وظلت الحركة الوطنية المصرية تستقوي معنويًا بالدولة العثمانية ضد الاستعمار حتى عام1914. وبعد معاهدة لوزان ونجاح أتاتورك في تركيا تعاطف معه المصريون العلمانيون.

وبعد ثورة 23 يوليو، اتجهت تركيا إلى حلف الأطلنطي لتأمين حدودها من الخطر الروسي الذي يهدد الأمن القومي لها، في حين كان الخطر الذى يواجه مصر هو إسرائيل مما أدى إلى توتر العلاقات مع الغرب الداعم لها. وأشار إلى أن الدرس المهم هنا هو أن تقسيم بلداننا إلى أقطار صغيرة أدى إلى تباين السياسات في حفظ أمن الجماعة الذي هو الوظيفة الأولى للدولة.

وفيما يخص **مستقبل العلاقات العربية التركية**، أكد المستشار البشرى على ضرورة دراسة الأوضاع الأمنية العامة والمشتركة للخروج باستراتيجية واحدة جامعة.

تناول البشرى مشكلة التجزئة والتقسيم وأشار إلى أن الأمة كانت دولة واحدة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تحولت إلى دولتين في العصر الأموي والعباسي، ثم إلى ثلاث في العهد العثماني والصفوي والمملوكي، ثم تناثرت إلى ما آلت إليه الآن، وأن هذا التقسيم لم يعكس مصالحنا وإنما عكس مصالح الدول الغربية والاستعمارية داخل بلادنا، حيث وضعت حدود مصر الحديثة في مؤتمر لندن 1840، وحدود الشام في مؤتمر "سايكس بيكو"، وحدود إفريقية في مؤتمر "برلين". وأشار إلى وقوف كثير من الدول الغربية في وجه أي محاولة عربية للوحدة ولو بين دولتين إما بالمؤامرة أو بالغزو المسلح. ومشكلة التجزئة هذه تعاني منها أيضًا الحركات الإسلامية التي لابد أن تكون اندماجية وليست مفتتة. فحل مشكلة التجزئة يكون بالتآزر.

وإذا كان المؤتمر على هذا النحو بمثابة تعريف بالشيخ والحركة وموضعهما من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي الآن، إلا أن الأمر يستلزم متطلبات أخرى بعد المؤتمر، وذلك على ضوء القضايا الكامنة في البحوث وفي المناقشات والتي تهم جمهور المسلمين، وتثير خلافاتهم، كما تبرز طموحاتهم وهم يسعون إلى إصلاح أحوالهم من داخلهم ابتداء، وتحت ضغط وتأثير الخارج وتدخله. ومن أهم هذه القضايا: الشورى، تطبيق الشريعة، الدولة الإسلامية، الخلافة، الجهاد، وحدة الأمة.إن العلاقة بين جميع هذه القضايا وبين عملية التربية الإيمانية والوجدانية والفكرية التي تمثل المنطلق والأساس يشع آثاره على جميع مجالات الحياة، تلك العملية التي تقع في قلب فكر الشيخ كولن وحركته، وكيفية تأثيرها على المجتمع والدولة في تركيا، ما زالت تستدعي منا مزيد تدبر لنؤصل مفهومًا جديدًا من "السياسة" المأمولة في العالم الإسلامي؛ وهي السياسة التي يقع في قلبها "لإنسان الجديد" كما قدمه الشيخ فتح الله كولن وكما تبذل الحركة "الخدمة" للوصول إليه، إحياءً وتجديدًا للأمة وللإنسانية.